

السماع الصوفي، نقده وبيان علاقته بالرُّوحانيات

Sufi Sama‘ (spiritual audition): A Critique and Its Relation to Spirituality

إعداد

أحمد بن فهد الخطاف

Ahmad ibn Fahd Al-Khattaf

طالب في قسم العقيدة بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية

Doi: 10.21608/jasis.2025.442628

استلام البحث	١٥/ ٣ /٢٠٢٥
قبول البحث	٣/ ٥ /٢٠٢٥

الخطاف، أحمد بن فهد (٢٠٢٥). السماع الصوفي، نقده وبيان علاقته بالرُّوحانيات. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٩(٣٣)، ٥١- ٨٨.

http://jasis.journals.ekb.eg

السماع الصوفي، نقده وبيان علاقته بالرُّوحانيات

المستخلص:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠) رحمه الله تعالى: (سمع: السَّمْعُ: الأُذُن، وهي المِسْمَعَةُ، والمسمعة خرقها، والسَّمْعُ ما وقر فيها من شيء يسمعه.. والسَّماعُ ما سَمَّعت به فشاع)[١]. تقول: سِمْع لما وَقَر في الأذن من شيء تسمعه، ويطلق كذلك على بُعد الصِّيت والذِّكر، والسّمَاعُ: اسم ما استلذَّت الأذنُ من صوتٍ حسنٍ، وأيضاً ما سَمعْتَ به فشاع وتُكُلِّمَ به، والسُمْعَةُ: ما سَمَّعْتَ به من طعام أو غيره رياءً[٢].وقال أحمد بن فارس (ت٣٩٥) رحمه الله تعالى: (سَمِعَ: السين والميم والعين أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن من الناس وكل ذي أذن. تقول: سمعت الشيء سمعاً. والسمع: الذكر الجميل. يقال قد ذهب سمعه في الناس، أي صيته. ويقال: سماع بمعنى استمع. ويقال: سمعت بالشيء، إذا أشعته ليتكلم به. والمُسْمِعَةُ: المغنية)[٣].وبتأمل المعاني التي ذكرها أئمة اللغة رحمة الله عليهم فيما يناسب هذا المبحث، يمكن لأبعاد هذه المادة (سمع) أن تتناول عدة معان: الرسالة المسموعة المتلقاة، وآلة التلقي ـ الأذن ـ، وأثر هذه الرسالة المتلقاة، وفِعلُ السمع.

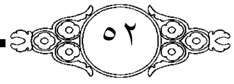
Abstract :

Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi (d. 170 AH), may Allah have mercy on him, said:"Sama‘ (hearing): 'Al-sam‘' refers to the ear, which is also called 'al-misma‘ah', and 'al-misma‘ah' is its opening. 'Al-sam‘' also refers to what is received in the ear of something heard... and 'al-sama‘' is what you make heard and thus becomes widespread."You say "sim‘" to refer to something that has settled in the ear from what is heard. It can also denote widespread fame or reputation. "Al-sama‘" is the term for a pleasing sound enjoyed by the ear, and also what you make heard so that it spreads and becomes talked about. "Al-sum‘ah" refers to what is publicized—of food or otherwise—for the sake of showing off.Ahmad ibn Faris (d. 395 AH), may Allah have mercy on him, said:"Sami‘a (to hear): The root letters sīn, mīm,

(١) كتاب العين ٣٤٨/١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٧٤/٢-٧٦، القاموس المحيط (ص٧٣٠-٧٣١)،

(٣) مقاييس اللغة ١٠٢/٣.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

and ‘ayn form a single origin, which is the perception of something by the ear, whether by humans or any being with an ear. You say: 'I heard something' (sam‘an). 'Al-sam‘' also means a good reputation. It is said: 'His sam‘ has spread among people,' meaning his fame. 'Sama‘' also means to listen. And you say: 'Sami‘tu bi-l-shay’', meaning you spread news of it to be talked about. 'Al-musmi‘ah' is the female singer."By reflecting on the meanings mentioned by the scholars of language, may Allah have mercy on them, in relation to the focus of this study, the dimensions of the root sam‘ can encompass several meanings: the received audible message, the receiver (the ear), the impact of the received message, and the act of hearing itself

السماع في الاصطلاح:

تعريف السماع عند أهل العلم والإيمان:

وفي الاصطلاح: (سماع ما جاء به الرسول ﷺ سَماع فِقه وقَبول)(٤).

ويمكن أن يُعرَّف السماع الشرعي المراد بهذا المبحث بأنه: التعبد باستماع ما جاء في الشريعة مما يلين القلب، ويقرب العبد من الله تعالى والعمل للدار الآخرة.

فيدخل فيه الموعظة، وأعمال القلوب المتعلقة بمراقبة الله تعالى وتعظيمه، كالخوف والرجاء، والرغبة والرهبة وما يندرج تحتها.

تعريف السماع عند الصوفية:

تعريف السماع الصوفي هو: التعبد بسماع شعر مَغنًّى بصوتٍ حسن مع آلة وحركة(٥).

وهذا المعنى تكاد تجتمع عليه كلمات الصوفية الذي كتبوا عن السماع ـ كما سيأتي ـ، ويرى ابن عربي أن السماع المقيد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع هو المراد عند الصوفية(٦).

السماع الشرعي:

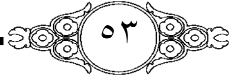
والسماع الذي شرعه الله تعالى لعباده، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لإصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم= هو سماع آيات الله

---

(٤) مجموع الفتاوى ٨/١٦.

(٥) السماع عند الصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (ص٣٥).

(٦) ينظر: الفتوحات المكية ٣٦٧/٢.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

تعالى، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع قراءة أبي موسى فقال: «قَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». قال أبو سلمة: وكان عمرُ يقول لأبي موسى: يا أبا موسى ذَكِّرنا ربَّنا، فيقرأ عنده أبو موسى وهو جالس في مجلسه ويَتَلَاحَن(٧).

وبهذا السماع أمر الله تعالى عباده: {وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [سورة الأعراف:٢٠٤]، وأثنى على أهله كما قال تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [سورة الزمر:١٧-١٨]؛ فالقول الذي أمروا بتدبره هو القول الذي أُمروا باستماعه(٨)، والنفوس تزكو بالعلم والعمل المبنيان على الوحي كما قال تعالى{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة:١٥١]، وليتأمل العاقل فضل الله عليه لما جعل الله تعالى القرآن الكريم سبب سعادة وهداية وعاصماً من الشقاء والغواية: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [سورة طه:٢].

أهمية السماع عند الصوفية:

(ليس بين الأشياء التي ابتدعها الصوفية لتحريك وجدانهم الديني ما هو أقوى في تحقيق ذلك الغرض وأفعلَ من السماع)(٩) يعد السماع من أهم مصادر التفاعل والترقي الروحي في المجتمع الصوفي، وفيه تظهر آثار العناية الإلهية بالسالك والمريد والمترقي والواصل، ويرى الصوفية أن سلوك طريق التصوف جد واجتهاد، وبالتالي فالسماع استجمام من تعب الوقت، يستروح إليه أرباب الأحوال والمقامات، ويستحضرون الأسرار، وهذا السماع إذا قرع الأسماع أثار كوامن أسرار القلوب؛ فتظهر آثار السماع في الواردات على القلوب حيث تنقدح عند الصوفية معان دقيقة تَرِد على قلوبهم مما يسمعونه من شعر ولو كان غزلياً، ثم يُوظَّف سبيلاً للترقي القلبي، فيثمر حالاً يظهر عليه.

ويتفاوتون في شدته ومدى تحملهم له؛ فيضطرب بعضهم إذا عجز القلب عن تحمل الوارد عليه، ويسمى الوَجْد، وقد يُجذَب بعضهم فيسلب عقله، وقد يصعق

---

(٧) خرجه أبو عوانة في المستخرج (٣٨٨٧)، وابن حبان (٧١٩٦)، والتلاحن هنا بمعنى الترنم والتطريب والتغني، ينظر: العين ٢٣٠/٣، مقاييس اللغة ٢٣٩/٥.

(٨) ينظر: مجموع الفتاوى ٥٥٨/١١.

(٩) في التصوف الإسلامي وتاريخه (ص١٣١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بعضهم فيغمى عليه، أو يهلك، ويشطح البعض فيقول أقولاً مخالفة للشريعة ومنافية لها، وبعضهم لا تظهر عليه آثار الاضطراب إما لقوة الحال أو ضعف الوارد(١٠).

استقر أمر السماع عند المتصوفة ليكون ملتقى للسالكين والشيوخ على حد سواء، وأصبح لكل شيخ طريقته في إقامة هذه المناسبة، ولم يقتصر حضور السماع على الصوفية وحدهم، فحضر عامة الناس من غير الصوفية، وحضرت النساء احتفاء بمثل هذه المناسبات، وبسطت الشبكة ومُدَّت لجذب مزيد من الناس إلى الطريق الصوفي، وساهم الغناء والرقص، وانتقاء المردان والنساء فيما آلت إليه مجالس السماع واستقرت عليه.

واختصت بعض الطرق الصوفية واستهرت بمجالس سماع ليست عند بقية الطرق الصوفية، كالطريقة المولوية بما تميزوا به في حفلات الغناء والرقص الذي عُرف على مستوى العالم، حيث يكون لباس القائمين على السماع خاصاً، ينتفش عند دورانهم الشديد، في جو من الابتهالات والمناجاة على طريقة توارثوها وطوروها عبر السنين.

مقاصد السماع الصوفي:

من مقاصد السماع الصوفي الدعوة إلى التوبة وسلوك طريق التصوف، إذ جعلوه شبكة وطُعماً يصطادون به نفوس العوام لجمع الناس عليه، لما فيه من التوانُس وميل نفوسهم واسترواحهم إلى اللهو والطرب، والنفوس تطلب شهواتها العاجلة من الطعام واللباس والسماع، ومهما حَسُنت المقاصد باتخاذ السماع شبكة يصاد بها العوام ليسلكوا طريق التصوف؛ فلا تعدوا هذه الشبكة إلاَّ أن تكون مُخرَّقة يَخرج منها الصيد إذا دخل فيها كما هو الواقع كثيراً.

وقد كان السماع مقتصراً على السالك ليترقى، ولكنه اتسع لعامة الصوفية وغيرهم، وجذب إلى هذه البدعة مقصدين، ديني ودنيوي كما قال الله تعالى: {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ} [سورة آل عمران:١٥٢]، وليت مريد الآخرة في هذا السماع يسلم من آثام هذه البدعة وأوضارها وتبعاتها، فإن الذين دخلوا في السماع الصوفي إذا يكن معهم أصل شرعي شرعه الله ورسوله أورثتهم أحوالاً فاسدة، ولم يَقُدهم هذا الدخول إلى التزام شرع الله تعالى وعبادته ومحبته وطاعته وطاعة رسوله ﷺ والرغبة إليه والتبتل له والتوكل عليه، وأصبحوا في أسلم الأحوال مجرد أرقام يُكثِّرون بها سواد الصوفية وتعدادهم(١١).

---

(١٠) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص٢١٦).

(١١) ينظر: مجموع الفتاوى ٦٠١/١١، السماع عند الصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (ص٩٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ولم تقف البدعة عند هذا الحد، بل أحدثوا وتمادوا بالاستماع للمعروفين بالغناء من أهل الفسوق والآثام، وربما استمعوه من النسوان المِلاح، أو من الصبيان المردان، وربما ألبسوهم فاتن الثياب، يرقصون ويدورون، وجعلوا مشاهدتهم بل معانقتهم مطلوباً لمن يحضر من الأعيان، وزادوا ابتداعاً بإنشاد القصائد، من أشعار الفساق والفجار، ولم ينسوا آلات المغنين بالأصوات المنكرات التي يستثيرون بها ضعاف الدين؛ فعظمت بالسماع الفتنة؛ واتخذوه ديناً وديدناً وجعلوه من الوظائف الراتبة بالغداة والعشى، وفي الأوقات والأماكن الفاضلات، واعتاضوا به عن القرآن والصلوات، وصدق فيهم قول الله تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} [سورة مريم:٥٩]، كما يفعل أهل الدَّساكِر والقصور، والمواخير(١٢) الذين يجمعون في السماع أهل الفسق والفجور والفساد، وربما قصدوا التكاثر بهم والافتخار، لا سيما إن كانوا من أهل الرياسة واليسار(١٣).

وليتأمل العاقل كيف تبدأ البدع صغاراً لا يؤبه لها، ثم تكبر في بيئة الجهل والهوى، ويرعاها الشيطان حتى يصل هذا الضلال ليكون تعبداً بالمعاصي والآثام، وصدق عبد الله بن مسعود (ت) رضي الله عنه حينما قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيِّرت قالوا: غُيرت السُّنة(١٤).

يقول أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت٦٥٦) رحمه الله تعالى منتقداً ما آل إليه سماع الصوفية: (انتهى التواقُح(١٥) بأقوام منهم إلى أن يقولوا: إن تلك الأمور من أبواب القُرَب وصالحات الأعمال، وأن ذلك يُثمر صفاء القلوب وسنِيَّات الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل البطالة والمَخرَقَة، نعوذ بالله من البدع والفتن، ونسأله التوبة والمشي على السنن)(١٦).

ومع ارتكاب بعضهم المخالفات في السماع من المردان والنسوان والرقص واستعمال آلات المعازف؛ فهم يدعون الأحوال الرفيعة، ويشيرون إلى مقامات

---

(١٢) بيت الرِّيبَةِ، ومن يَلِي ذلك البيت ويَقودُ إليه، ومجمع أهل الفسق من شاربي الخمر. ينظر: القاموس المحيط (ص٤٧٣)، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٠٧٤/٣.

(١٣) ينظر: الاستقامة ٣٠٦/١-٣٠٧، السماع عند الصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (ص١٠٠).

(١٤) خرجه الدارمي (١٩١)، والحاكم (٨٦٣٥).

(١٥) وقُحَ الشَّخصُ: قلَّ حياؤُه، واجترأ على فعل القبائح ولم يعبأ بها. ينظر: مقاييس اللغة ١٣٢/٦، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٤٧٨/٣.

(١٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٣٤/٢.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ومنازلات تستعظم في الغالب على المتصفين بالاقتداء والاتباع؛ فكيف يحصل لأهل التخليط وارتكاب ما لا ينبغي(١٧).

عناية الصوفية بالسماع:

اعتنى الصوفية بالسماع عناية ظاهرة من حيث التأليف فأفردوا فيه كتباً، أو تناولوه في فصولٍ ضمن كتب، ولهم سوى هذين كلام كثير في مدحه، وبيان مرتبته في طريق التصوف، وهو عندهم في مرتبة أعلى من القرآن أحياناً، ومن جهة الحكم على منكريه.

وقد عقد الغزالي في الإحياء: كتاب آداب السماع والوجد، وذكر أن القلوب خزائن الأسرار ومعادن الجواهر، والسماع والنغمات الموزونة المستلذة كالقَدَّاحةِ لاستثارة خفايا القلوب؛ فتُخرج ما فيها وتظهر محاسنها أو مساويها، وعنده أن السماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه(١٨).

وقال ابن الجوزي (ت٥٩٧) رحمه الله تعالى: (وقد تشبث حب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم عنده ما لا ترق عند القرآن، وما ذاك إلاَّ لتمكن هوى باطن وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا)(١٩).

وحجتهم: أن القرآن كلام ثقيل لا يليق مع وجوده إلا السكون والإنصات. ولأنه يتكرر في الأسماع أما الشعر فهو كلام البشر فبينهما مناسبة، وأما كلام الله تعالى فلا مناسبة بينه وبين البشر لأنه كلام الخالق سبحانه.

والأصل أن المعاني التي تتجلى للقلوب تنتزع من القصائد والأشعار، وهي مادة مجالس السماع الصوفي، وغالباً ما تكون أشعاراً في الحب والغزل ونأي الديار أو صدود المحبوب.. ومن النادر أن ينتزع الصوفي المعنى الدقيق من الآية أو الحديث أو من سير السلف الصالحين؛ فضلاً عن أن يؤثر فيه ويتواجد منه، وهذا يدل في أقل الأحوال على فساد القلب وقسوته لبعد قلبه عن التفكر والاعتبار بكلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ، قال الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [سورة الزمر:٢٣].

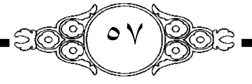
ويلمح شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨) رحمه الله تعالى إلى ملحظ مهم بأن القلوب إذا اشتغلت بالعبادات المبتدعة في الأدعية، أو الأشعار أو السماعات، ونحو ذلك فهذا لإعراض قلوبهم عن المشروع أو بعضه، ومن أقبل على الصلوات الخمس

---

(١٧) ينظر: المدخل ٩٤/٣.

(١٨) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٦٨/٢.

(١٩) تلبيس إبليس (ص٥٧٦).



بوجهه وقلبه، عاقلاً لما اشتملت عليه من الكلم الطيب، والعمل الصالح مهتماً بها كل الاهتمام أغنته عن كل ما يتوهم فيه خير من جنسها، ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيءٍ من الكلام لا منظومه ولا منثوره، والعاقل يجتهد في اتباع السنة، ويعتاض عن البدع التي يظن من أنها خير من السنن، ومن يَتَحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَهُ(٢٠).

ولما أصبحت منزلة السماع عند الصوفية رفيعة سامية، خصصوا له الأوقات والأماكن والقَوَّالين لتقام مجالسة وفق ما يريدون، وتكلموا في التعريف به وبيان منزلته وأهميته، والرد على الطاعنين فيه المنابذين له ولأهله، وبالتالي ظهرت عناية الصوفية بالسماع في عدة نَواح:

الناحية الأولى: إقامة مجالسة وحضورها:

كان مما حدث في الإسلام بعد انقراض القرون الفاضلة انتشار السماع الصوفي، وكان أول أمره أن ابتدأ بقراءة القرآن الكريم ملحناً بأصواته وأوزانه وإيقاعاته على طريقة أصحاب الموسيقى، وأنكره أكثر العلماء.

وحقيقة هذه الألحان المبتدعة المطربة أنها تهيج الطباع وتلهي عن التدبر، حتى يصير الالتذاذ بسماع النغمات والأصوات المطربة مانعاً من تدبر معاني القرآن الكريم، كما هو مشاهد.

ثم تلى هذا الإحداث: سماع القصائد الرقيقة المتضمنة للزهد والترغيب في الدار الآخرة، وربما أنشدوها بنوع من الألحان استجلاباً لترقيق القلوب، ثم وُجد من يضرب مع إنشادها على جِلدٍ ونحوه بقضيب ونحوه وكانوا يسمون ذلك التَّغبير، قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤) رحمه الله تعالى: تركت بالعراق شيئاً يسمونه التغبير وضعته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن(٢١).

وأصبح السماع محطة مهمة في الطريق الصوفي، وجعلوا له مزايا لا بد منها، وزاحموا به منبع الهداية والنور القرآن الكريم؛ فنصوا على أن السماع أدعى للوَجْد والتأثير على الصوفي من القرآن الكريم، ومهما تفاوتت عباراتهم إلاَّ أن المؤدى واحد، فالغزالي يرى أن الغناء أشد تهييجاً للوجد ، ولم يكتف بهذا القول

---

(٢٠) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢٦٩/٢-٢٧٠.

(٢١) ينظر: نزهة الأسماع في مسألة السماع (ص٧٠- ٧٣).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المجمل، بل ذكر سبعة أوجه بنى عليها دعواه بأن أثر الغناء على القلب أنفع من القرآن الكريم(٢٢).

وذكر ابن الجوزي (ت٥٩٧) رحمه الله تعالى أن رجلاً قرأ القرآن الكريم في رباط فمنعه الصوفية، وأن قوماً قرأوا الحديث في رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه(٢٣).

قال أبو القاسم القشيري (ت٤٦٥) رحمه الله تعالى: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: خرجت إلى مرو في حياة الأستاذ أبي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي أيام الجمعة بالغدوات مجلس دَوْر القرآن والختم؛ فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن القعابي في ذلك الوقت مجلس القول؛ فتداخلني من ذلك شيء، وكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول. فقال لي يوماً: يا أبا عبد الرحمن أيشٍ يقول الناس فيَّ؟ فقلت: يقولون: رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول. فقال: من قال لأستاذه لِمَ.. لا يفلح أبداً(٢٤).

الناحية الثانية: ناحية الإنتاج العلمي والتأليفي:

اعتنى الصوفية بالسماع والانتصار له، وكتابة التواليف والمصنفات فيه، ولا يدخل في هذا من كتب في جواز الغناء كرأي فقهي، فمن هؤلاء أعلام ليسوا من المتصوفة، بل لبعضهم موقف مباين للتصوف، كالعلامة أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦) رحمه الله تعالى، وله: رسالة في الغناء المُلهي أمباح هو أم محظور؟(٢٥)، وخلص في رسالته إلى تعليل أحاديث المنع والتحريم، وتقوية رأيه في إباحته ولو كان بآلات المعازف، ولأبي عمر أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي (ت٤٢١) رحمه الله تعالى: الإمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع(٢٦)، ولأبي الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي (ت٧٤٨) رحمه الله تعالى: الإمتاع

---

(٢٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٩٨/٢-٣٠١، ميزان العمل (ص٢٢٢)، موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة (ص١١٧).

(٢٣) تلبيس إبليس (ص٤٤٣).

(٢٤) الرسالة (ص٦٧٢)، وعنه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص٥٧٧-٥٧٨).

(٢٥) رسائل ابن حزم الأندلسي ٤٣٠/١-٤٣٩.

(٢٦) مطبوع بتحقيق محمد بن شقرون، المغرب، القنيطرة: مطبعة الأندلس، والمؤلف شاعر وليس صوفياً.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بأحكام السماع(٢٧)؛ فهؤلاء قالوا بإباحة الغناء ولكن ليس على مذهب التصوف والتعبد بسماعه.

ومن مؤلفات الصوفية التي نصرت السماع الصوفي:

- السماع، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢) رحمه الله تعالى(٢٨).
- بوارق الإلماع في الرد على من يحرم السماع [بالإجماع]، لأحمد بن محمد بن محمد الغزالي. (ت٥٢٠) رحمه الله تعالى(٢٩)، وطبع طبعة هندية بعنوان: بوارق الإلماع في تكفير من يحرم السماع
- كتاب السماع، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت٥٠٧) رحمه الله تعالى(٣٠).
- فرح الأسماع برخص السماع، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن داود بن سلامة اليزلتيني، التونسي القاهري، المالكي، الوفائي، الشاذلي، ويعرف بابن زغدان (ت٨٨٢) رحمه الله تعالى.

أما كلام الصوفية عن السماع في ثنايا تواليفهم فأمر مشتهر، حيث يعقدون أبواباً خاصة بالسماع كما صنع السراج الطوسي في اللمع(٣١)، وأبو بكر الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف(٣٢)، والهجويري في كشف المحجوب(٣٣)، وأبو

(٢٧) ليس صوفياً ولم يذكر في ترجمته أنه صوفي لا ابن السبكي ولا ابن قاضي شهبة، ولا الشعراني في طبقات الصوفية، ولا المناوي في طبقات الصوفية، والذي وصفه بالصوفي الزركلي فقط في الأعلام مما وقفت عليه، والفيصل في حاله النظر في كتابه.

(٢٨) أزدي نسباً، واشتهر بالسلمي من جهة جده لأمه الشيخ أبي عمرو إسماعيل بن نجيد السلمي (ت٣٦٥). ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٤٧/١٧.

(٢٩) مجلة المورد العراقية (المجلد٣)، (عدد٤) ١٤٠٥، (ص٦٥-٧٨)، الفهرس الشامل للتراث العربي الشامل المخطوط، الفقه وأصوله ١٣٥/٢، معجم التاريخ، التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات ٤٨٣/١.

(٣٠) محدث نُسب للصوفية. ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٤/١٩.

(٣١) (ص٣٣٨-٣٧٤).

(٣٢) وبه ختم كتابه (ص٢١٦-٢١٧).

(٣٣) ٦٣٨/٢-٦٦٨.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

القاسم القشيري في الرسالة(٣٤)، وأبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين(٣٥)، وابن عربي في الفتوحات المكية(٣٦)، وغيرهم في كثيرين.

الناحية الثالثة: الكلام المنثور في بيان أهميته ومنزلته وآثاره(٣٧):

كثرت أقوال الصوفية عن السماع، لما له من الآثار على قلب الصوفي وسلوكه، بل وعلى التصوف ككل، ولِما يحدث فيه من خوارقٍ للعادات، وظهور الأمور المستحيلات، وتنوعت أقوالهم بياناً لأهمية السماع، وتأكيداً على منزلته عند الصوفية، وإيضاحاً لآثاره وثمراته، حتى جعلوه من مواضع نزول رحمة الله على الصوفي؛ فقال الجنيد بن محمد: (الرحمةُ تنزل على الفقير في ثلاثة مواضع، عند الأكل فإنه لا يأكل إلاَّ عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلاَّ عند الضرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع إلاَّ عند الوَجْد)(٣٨).

وسئل رُوَيْم بن أحمد البغدادي (ت٣٠٣) رحمه الله تعالى عن وجود(٣٩) الصوفية عند السماع، فقال: يشهدون المعاني التي تَعزُب(٤٠) عن غيرهم، فتشير إليهم: إليَّ إليَّ إليَّ؛ فيتنعمون بذلك من الفرح، ويقع الحجابُ للوقت، فيعود ذلك الفرح بكاء؛ فمنهم من يصيح، ومنهم من يُخَرِّق ثيابه أسفاً، ومنهم من يبكي، كل إنسان على قدره(٤١).

وقال سهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣) رحمه الله تعالى لمَّا سئل عن السماع: علم استأثر الله تعالى به، ولا يعلم حقيقته إلا هو(٤٢).

---

(٣٤) (ص٦٧٥-٦٩٨).

(٣٥) ٢/٢٦٨-٣٠٦.

(٣٦) ٢/٣٦٦-٣٦٩، عقده لبيان مقام السماع، وله كلام كثير عن السماع في غير هذا الموضع.

(٣٧) فيها تداخل مع الناحية الثانية، وأردت منها كلام الصوفية الذي لم ينتظم في كتاب بل يوجد مبثوثاً في كتب التراجم والطبقات، ولا مانع من دمجها بما قبلها.

(٣٨) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص٢١٧).

(٣٩) المراد مصطلح الوجد، لا أن الكلمة بمعنى الحضور؛ فليس هذا المعنى مراداً هنا ولا تشهد له اللغة.

(٤٠) في المصدر: تعرب، والتصويب من بقية مصادر توثيق الخبر.

(٤١) تهذيب الأسرار (٣٣٥)، الرسالة (ص٦٨٥)، طبقات الأولياء (ص١٩٩).

(٤٢) طبقات الأولياء (ص٢٠٢)، وينظر: كشف المحجوب ٢/٦٥٣.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وعبارته مشكلة، إلاَّ إن كان السؤال والجواب عن المعاني التي تقع في قلب الصوفي من السماع؛ فعلى هذا التخريج يستقيم الكلام ويدخل في الدعاوى العريضة عند القوم، بتفخيم العبارات وتعظيم أعمالهم؛ لأن ظاهر العبارة لا تصلح جواباً عن السؤال، أو هي جواب ولكن اكتفى ناقله ببعضه، وما العلم الذي استأثر الله تعالى به في هذه المجالس؟ أهو ما يقع فيها من خوارم المروءة والخروج عن حد الاعتدال برقص الرجال وتمايلهم وزعيقهم..؟ أم بأشعار الغزل والتشبيب والهيام بالمعشوق؟

ولذلك تقع عندهم المعاني الدقيقة التي يشهد لها الكلام أو التي لا يشهد لها الكلام، ويتأثرون لذلك جداً، ومن ذلك أنه حضَر قوَّال(٤٣) ودُفٌ وشبَّابَة، وعملوا [سماعاً] والشيخ أبو الحسن بن الصباغ القوصي (ت٦١٣) رحمه الله تعالى في ناحية ليس ببعيد فأنشد القوَّال:

أغضبت إذ زعم الخيال بأنه ... إذ زار صادف جفنَ عيني مغمضا؟
لا تغضبي، إن زار طيفك في ... ما كان إلاَّ مثل شخصك معرضا
وافَى كلمح البرق صادف نوره ... غسق الدُّجُنَّة، ثم للحال انقضى
فكأنه ما جاء إلاَّ زائراً ... للقلب، يذكر من وصالك ما مضى
وحياة حبك![٤٤] لم أنم عن سلوة ... بل كان ذلك للخيال تعرُّضا
يا ضرة القمرين من كنف الحمى ... وربيبة العلمين من وادي الغضا

فلما أنشد البيت الثالث: وافى كلمح البرق.. قام أبو الحسن في السماع، وقام الفقراء لقيامه، وخلع على القوَّال رداء كان عليه، ثم خلع الجماعة أثوابهم(٤٥).

وقيل لأبي حفص عمرو بن سَلْم النيسابوري(٤٦) (ت٢٦٤) رحمه الله تعالى: إن فلاناً من أصحابك أبداً يدور حول السماع؛ فإذا سمع هاج وبكى ومزَّق ثيابه. فقال أبو حفص: أيش يعمل الغريق؟ يتعلق بكل شيء يظن نجاته فيه(٤٧).

---

(٤٣) منشد القصائد ومغنيها. ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢٤٩/٣.

(٤٤) حلف بغير الله تعالى، وهو من شرك الألفاظ.

(٤٥) طبقات الأولياء (ص٣٩٥-٣٩٦).

(٤٦) في اسمه واسم أبيه خلاف، تنظر ترجمته في تاريخ مدينة السلام ١٣٣/١٤، وسير أعلام النبلاء ٥١٠/١٢، تاريخ الإسلام ٣٧٨/٦. قال الذهبي فيما نقله عن السلمي: (وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور) السير ٥١١/١٢.

(٤٧) طبقات الصوفية (ص١١٩)، وتأمل هذا القول من صوفي يوصف بالعلم والرسوخ، وفي زمن القرون الثلاثة المفضلة.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وقال أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني (ت٣٢٢) رحمه الله تعالى: سماع العوام على متابعة الطبع، وسماع المريدين رغبة ورهبة، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعم، وسماع العارفين على المشاهدة، وسماع أهل الحقيقة على الكَشف والعَيَان، ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام(٤٨).

وقال أيضاً: المستمع يجب أن يكون في سماعه غير مستروح إليه، يهيج منه السماع وجداً أو شوقاً أو غلبة وارد عليه يفنيه عن كل مسكون ومألوف، وأنشد على أثره:

فالوجد والشوق فى مكانى قد منعانى من القرار
هما معي لا يفارقاني فذا شعاري وذا دثاري(٤٩)

قال وسئل أبو عَمْرو النيسابوري الزَّجّاجي (ت٣٤٨) رحمه الله تعالى عن السماع فقال ما أدوَنَ حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه إليه السماع من ضعف الحال، ولو قوي لاستغنى عن السماع والأوتار(٥٠).

وجعلوا للسماع مقاييس وأسرار لألفاظه، ونَغَمِه، والقوالين، والحضور، والحركة، والطرب، والخوف، والوجْد، كما قال أحمد بن عطاء الرُّوذباري (ت٣٦٩) رحمه الله تعالى: سر السماع ثلاثة أشياء: بلاغة ألفاظه ولطف معانيه واستقامة منهاجه، وسر النغمة ثلاثة: طيب الخلق وتأدية الألحان وصحة الإيقاع، وسر الصادق في السماع ثلاثة: العلم بالله والوفاء بما عليه وجمع الهم. والوطن الذي يسمع فيه يحتاج أن يجمع فيه ثلاث خصال: طيب الروائح وكثرة الأنوار وحضور الوقار، ويعدم ثلاث: رؤية الأضداد ورؤية من يحتشم ورؤية من يتلهى، ويسمع من ثلاث: الصوفية والفقراء والمحبين لهم، ويسمع على ثلاثة معان: على المحبة والوجد والخوف، والحركة في السماع على ثلاث: الطرب والخوف والوَجْد، والطرب له ثلاث علامات: الرقص والتصفيق والفرح، والخوف له ثلاث علامات: البكاء واللطم والزفرات، والوجد له ثلاث علامات: الغيبة والاصطلام والصرخات(٥١).

شروط السماع عند الصوفية:

ولأهمية السماع اشترط الصوفية لحضور مجالسه شروطاً؛ ليكون أنفع وأوقع على قلب الصوفي، وكان من شروطه:

١. النية وهي إرادة الله والتقرب إليه.

---

(٤٨) طبقات الصوفية (ص٣٧٥).

(٤٩) طبقات الصوفية (ص٣٧٥).

(٥٠) طبقات الصوفية (ص٤٣٢).

(٥١) طبقات الصوفية (ص٥٠٠).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٢. الزمان أن يكون فارغ القلب غير مشغول لا بحضرة صلاة ولا طعام ولا خصام، وذلك لهدف حصول الفائدة.
٣. المكان وذلك أن يكون مما يستجمع القلب فيه خالياً من الشواغل.
٤. الإخوان وهم أهل السماع الصوفي وذلك حتى لا يشغلون القلب أو يعارضون الحضرة والوجد بالاستغراب أو الإنكار، بل يشاركون بمواجيدهم الحضور حتى يستمتع بهم كل من حضر السماع.

آداب السماع عند الصوفية:

سن الصوفية لمجالس السماع آداباً؛ تضبط رواده للمحافظة على سمته وأدبه، ومراعاة ما يكون مما هو خارج عن حد الاعتدال والتماس العذر لصاحبه، ومن خالفها استحق الإبعاد، لأن الأدب عندهم من المقامات المهمة للسالكين، واعتنوا به وتكلموا فيه كثيراً، وجاءت مراعاتهم لآداب السماع ليُسلَّم لأصحاب الأحوال، ولا يعترض على المشايخ في تلك المجالس، بل الأدب الموافقة للجميع في وَجدهم وقيامهم وقعودهم وحركتهم، كما قال الجنيد (ت٢٩٧) رحمه الله تعالى: إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب(٥٢).

وآداب السماع عند الصوفية:

- مراعاة الزمان والمكان والإخوان كما سبقت في الشروط.
- مراعاة أحوال المريدين، واشترطوا لهم درجات.
- مراعاة أدب الاجتماع من الإصغاء وحضور القلب وقلة الالتفات وعدم النظر إلى وجوه المستمعين
- مراعاة أدب الوجد الذي يظهر حال السماع وذلك ألا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء، وهو يقدر على ضبط نفسه أما تمزيق الثياب والتحرك والرقص فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار.
- مراعاة صاحب الوجد من الشيخ أو غيره بموافقته على فعله، وهذا من آداب الصحبة، إذا سقطت عمامته أو خلع ثيابه.

ومن خالف هذه الآداب، فإنه خارج عن الأدب يستحق أن يطرد من مجلس السماع.

آثار السماع الصوفي:

هذه الآثار هي ثمرات السماع عند الصوفية، وهي ثلاث:

(٥٢) الرسالة (ص٥٩٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الوَجْد وما يصحبه من اضراب أو رقص:
(الوَجْد: ما يصادف القلبَ ويَرِد عليه بلا تكلف وتصنُّع)(٥٣).
وعرفه ابن عربي (ت٦٣٨): (ما يصادف القلب من الأحوال المُفنية له عن شهوده)(٥٤).

ويمكن أن يُعرَّف من خلال حديث الصوفية ووصفهم له بأنه: المعنى الصوفي الذي يرِد على القلب، ويظهر أثره على حال السالك، ويكون باعثه ـ في الغالب ـ قولٌ مسموع.

أو: الحركة التي تظهر على الصوفي باعثها معنى ورد على القلب، من قول مسموع في الغالب.

وهذا يقود إلى مراعاة هل الوجد قلبي أم الحركة الظاهرة؟

قال أبو حامد الغزالي (اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوَجْد، ويثمر الوَجْد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص)(٥٥).

ويذكر أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥) رحمه الله تعالى: أن الوجد ثمرة وارد حق جديد وحالة قلبية عقيب السماع، وتلك الحالة لا تخلو أحد قسمين: إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال كالشوق والحزن والسرور، والبسط والقبض، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها؛ فإن لم يؤثر في تحريك الظاهر لم يسم وَجْداً، وإن أثر سمي وجداً، ويتفاوت هذا الأثر قوة وضَعفاً، بحسب قوة الوارد، وبحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه(٥٦).

(وصفة الواجد: إما حركة في غليان الشوق في حال الحجاب، وإما سكون في حال المشاهدة في حال الكشف، إما زفير وإما نفير(٥٧) ، إما أنين وإما حنين ، إما عيش وإما طيش ، إما كرب وإما طرب)(٥٨).

---

(٥٣) التعريفات (ص٣٤٤)، ونقله المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف (ص٧٨١)، وكأنه مقتبس من كلام القشيري في: الرسالة (ص٢٤٦).

(٥٤) اصطلاح الصوفية ـ ضمن رسائل ابن العربي ـ ٦٤/٣.

(٥٥) إحياء علوم الدين ٢٦٨/٢.

(٥٦) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٩٢/٢، السماع عند الصوفية عرض ونقد (ص١٠٨-١١٠).

(٥٧) لعلها: نخير؛ لكون الجمل متقابلة المعاني، وهي هنا من صور تخبط الشيطان بالقوم.

(٥٨) كشف المحجوب ٦٦١/٢.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فالتواجد: استدعاء الوَجْد بنوع اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، وإلاَّ لكان واجداً، ويرون أن التواجد غير مسلَّم لصاحبه لما يتضمن من التكلف والبعد عن التحقيق(٥٩).

ويرى الهجويري (ت٤٦٥) رحمه الله تعالى أن كيفية الوجد لا تدخل تحت العبارة؛ لأنها ألمٌ في المغايبة، ولا يمكن بيان الألم بالقلم؛ لأن الوجد سر بين الطالب والمطلوب، ويتبين بكشف تلك الغيبة المتعذرة، وكذا لا يمكن الإشارة إلى كيفية الوجود، ولا معرفة علامته؛ لأنه طرب في المشاهدة ، ولا يمكن إدراك الطرب بالطلب على حد قوله.

ويميل إلى أن الوجد ألم للقلب، إما من الفرح أو الترح أو التعب، والوجود إزالة غم عن القلب ومصادقته لمراده(٦٠).

ويرى أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥) رحمه الله تعالى أن الوجد يثمر إما مكاشفات وإما أحوال، وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه، وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلاً(٦١).

وكان مما يُوصَى به المريد إذا جثم عليه وارد في السماع ألاَّ يتحرك له أصلاً ما قدر على ذلك، واغتفر ابن عربي (ت٦٣٨) للمريد الحركة في السماع إن اختُطِف عن نفسه بألاَّ يشعر بها ولا بالمجلس ولا بأهله، وغاب سمعه حتى لا يسمع زمزمة القوَّال؛ لأن حركته من غيره لا منه، وبوارِدِه لا من نفسه(٦٢).

ألا يمكن للمرء أن يتساءل عن حقيقة هذه الحال التي تؤثر على عقل وحركة من يحضر السماع؛ فيغيب ولا يحس بما يجري له، جزماً ليست حالاً إيمانياً ملَكياً لأن الملائكة بمعزل عن مجالس اللهو، وبالتالي فهي حال شيطاني تتخبطهم الشياطين وتتلبس بهم.

ويعلق الحافظ الذهبي (ت٧٤٨) رحمه الله تعالى في كلمة مختصرة مبيناً أن اتباع السنة النبوية واضح وصارم ومحدد ليس فيه فعل البعض وترك البعض، بل كل لا يتجزأ: (والسنة المحمدية صَلِفَة، ولا ينهض الذوق والوجد إلا على تأسيس الكتاب والسنة)(٦٣).

---

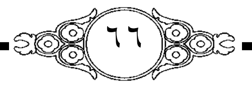
(٥٩) ينظر: الرسالة (ص٢٤٥)، واصطلاح الصوفية ـ ضمن رسائل ابن العربي ـ ٦٤/٣.

(٦٠) ينظر: كشف المحجوب ٦٦١/٢.

(٦١) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٩٤/٢

(٦٢) ينظر: الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط (ص١١٩).

(٦٣) سير أعلام النبلاء ٥٠٩/١٨.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الكشف:

عرف الغزالي (ت٥٠٥) رحمه الله تعالى المكاشفة: (أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه)(٦٤).

وعُرف أيضاً بأنه: (الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية، وُجودًا وشُهودًا)(٦٥).

وحصول الكشف من أهم فوائد السماع عند الصوفية، والكشف من العلم الذي تفردت به الصوفية من علوم الخواطر والمشاهدات المختصة بعلم الإشارة، لأن مكاشفات الأسرار تُعلم أحوالها بالمنازلات والمواجيد(٦٦).

وعند الصوفية أنه يُكشف للقلب ما لم يكن مكشوفاً بثلاثة أسباب تحصل بواسطة السماع هي: التنبيه، وصفاء القلب، وانبعاث نشاط القلب، وهذه الفوائد الثلاث للسماع تثمر الكشف لدى الصوفي(٦٧)، وبالتالي يكون للكشف تأثير مهم في اختيار أمور الدين أو الدنيا؛ فلا يحتاج معه إلى قول عالم أو استنباط من دليل.

ويرى أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥) رحمه الله تعالى(٦٨): أن الغناء يؤثر في تصفية القلب ويكشف له، حتى تتمثل له حقيقة الحق في لفظ مفهوم موزون يَقرعُ سمعَه الظاهر، وإذا صفا القلب سمع صوت الهاتف، ويشاهد أيضاً بالبصر صورة الخضر فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة(٦٩)، وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام، إما على صورتهم الحقيقية، وإما على مثال يحاكي الصورة بعض المحاكاة، وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب، وقد يُعبِّرون عن ذلك الاطلاع بالتفرس، ويستدلون بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»(٧٠).

---

(٦٤) إحياء علوم الدين ٢٠/١.

(٦٥) التعريفات (ص٢٦٥).

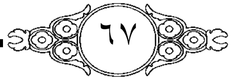
(٦٦) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص١١٠).

(٦٧) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٩٣/٢.

(٦٨) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٩٣/٢-٢٩٤.

(٦٩) استدل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على أن ما يرونه الخضر إنما هو جن يضلهم، لكونه يأتيهم على صور مختلفة وليست صورة واحدة.

(٧٠) خرجه الترمذي (٣١٢٧).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وبالتالي لم يحفلوا بأبيات الزُّهديات والوعظيات والرقائق، أو أشعار أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم (ت٢١١)، أو أشعار سابق البربري (ت ١٠٠) رحمه الله تعالى، لكان لعملهم مندوحة ومستساغاً، ولكن الواقع أن تداولوا في سماعهم أشعار الفساق والمُجَّان، بل وحتى الكفار، وتواجدوا من أبيات الغزل والعشق والتشبيب بالمردان والنسوان، وإذا أمكن تنزيل هذا الفحش على معان تُرقِّي الصوفي فلا محذور في الأبيات الغزليات، لأن المعنى الذي توصله والأثر الذي تفيده يفوق خَبَثه وكدرَه؛ إذ العبرة بالمعنى الذي ينكشف للصوفي وبه يسمو وليس اللفظ.

فإذا قرع أذن الصوفي ذكر عتاب أو خطاب، أو وصل أو هجر، أو قرب أو بُعد، أو تلهف على فائت أو شوق إلى وارد، أو طمع أو يأس، أو خوف فراق أو فرح بوصال، أو همول العَبَرات أو ترادف الحسرات، أو طول الفراق أو عِدَة الوصال أو غير ذلك مما تشتمل على وصفه الأشعار فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه؛ فيجري ذلك مجرى القَدْح الذي يُوري زِنَاد قلبه؛ فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه، ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته، ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله، وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه، بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ(٧١).

وذهب إلى هذه النتيجة أبو ذر الهروي (ت٣٨٦) رحمه الله تعالى بأن من سمع فظهر له بالسماع ذكر ربّه، وتذكر بالسماع أجلَّ ما شوّق الله عباده إليه وما أعده لأوليائه، فالسماع يكون له ذِكر من الأذكار(٧٢).

بل يرى أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥) رحمه الله تعالى أنه ما من بيت من شِعر السماع إلاَّ ويمكن تنزيله على معانٍ صوفية، وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه(٧٣).

(وربما صار ذلك(٧٤) عبادة بحسن النية، إذا نوى به إجمام النفس.. وربما كان بحسن النية في الترويح يصير عبادة، سيما إن أضمر في نفسه فرحاً بربه، ونظر إلى شمول رحمته وعطفه)(٧٥).

---

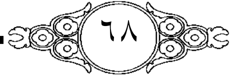
(٧١) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٨٨/٢، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ١٦٤/١.

(٧٢) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١٠٢/٢.

(٧٣) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٩٠/٢-٢٩١.

(٧٤) المراد: الرقص.

(٧٥) عوارف المعارف (ص١٠٩-١١٠).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

(والشافعي بكمال علمه وإيمانه علم أن هذا مما يصد القلوب عن القرآن ويعوضها به عنه ـ كما قد وقع ـ أن هذا إنما يقصده زنديق منافق من منافقة المشركين أو الصابئين وأهل الكتاب فإنهم هم الذين أمروا بهذا في الأصل كما قال ابن الراوندي اختلف الفقهاء في السماع فقال بعضهم هو مباح وقال بعضهم هو محرم وعندي أنه واجب وهذا مما اعتضد به أبو عبد الرحمن في مسألة السماع وهذا متهم بالزندقة وكذلك ابن سينا في إشاراته أمر بسماع الألحان وبعشق الصور وجعل ذلك مما يزكي النفوس ويهذبها ويصفيها وهو من الصابئة الذين خلطوا بها من الحنيفة ما خلطوا وقبله الفارابي كان إماما في صناعة التصويت موسيقيا عظيما فهذا كله يحقق قول الشافعي رضي الله عنه)(٧٦).

وقد جرَّ السماعُ على هذه الطائفة شراً كبيراً حينما جعلوه قربة وعبادة، وبمثل هذا أصبح سماعهم أشرّ من سماع الفساق، فهم معترفون بأنهم مذنبون مخطئون ويسألون الله تعالى العفو والمسامحة، وبدعة هؤلاء جعلتهم يرون عملهم مما يحبه الله تعالى ويرضاه، لأن محبة السماع أضعفتْ من قلوبهم محبةَ ما يحبه الله وكراهةَ ما يكرهه، ولهذا ليس للقرآن والصلاة والعلم في قلوبهم من المحبة والحلاوة والطيب ما في قلوب أهل كمال الإيمان، بل قد يكرهون بعضَ ذلك ويستثقلونه، حتى إن أحدهم فضَّل السماع وجعلَه أنفعَ للقلب من قراءةِ القرآن من ستة أوجه أو سبعة!(٧٧)؛ فلهم نصيب من حال الذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم خَرُّوا عليها صُمًّا وعميانًا، ونصيبٌ من حال الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى، ويجدون في نفوسهم استثقال سماع القرآن وقراءته، لمَّا اعتاضوا عنه بضدِّه وندِّه، وإن ارتاحوا إلى سماعه فللقدر المشترك الذي يكون بينه وبين سماعهم من الأصوات المطربة والألحان، ولهذا يرتاحون لذلك الشعر الكفري أو الفِسقي أو الزنائي على حد تعبير العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى(٧٨).

إن حقيقة الوجد الشرعي تنطلق من السماع الإيماني، وإذا حرك القلب بالقرآن والإيمان أثَّر فيه عبودية وخشوعاً وزيادة في الإيمان، اتباعاً لقول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون (٣) أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم (٤)} [سورة الأنفال:٢-

(٧٦) الاستقامة ٢٣٨/١-٢٤٠، وينظر: السماع عند الصوفية عرض ونقد (ص٢٦٤).

(٧٧) القائل أبو حامد الغزالي في كتابه: إحياء علوم الدين ٢٩٨/٢ حينما قال بأن الغناء أشد تهييجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه.

(٧٨) ينظر: الكلام على مسألة السماع (ص١٧٣).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٤]، أما الوجد الصوفي فينطلق من السماع البدعي؛ فالمحرك النغمات والأبيات، والأثر رقص واضطراب وخروج عن حد الاعتدال، مخالفين وصية لقمان لابنه: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [سورة لقمان:١٩](٧٩).

(اعلم أنه ليس للرقص أصل في الشريعة والطريقة؛ لأنه باتفاق جميع العقلاء لهوٌ حين يكون جداً، ولغوٌ حين يكون هزلاً، ولم يمدحه أحد من المشايخ ولم يغل فيه، وكل أثر يدخله فيه أهل الحشو باطل كله.

ولما كانت حركات الوجد ومعاملات أهل التواجد شبيهه بالرقص؛ فقد قلدهم في ذلك جماعه من أهل الهزل، وغالوا في ذلك وجعلوا منه مذهباً، وقد رأيت جماعة من العوام كانوا يظنون أن مذهب التصوف ليس إلا هذا فاتبعوه، وجماعة أنكروا أصله.

وجملة القول أن الرقص قبيح شرعاً وعقلاً من أجهل الناس، ومحال أن يفعله أفضل الناس، ولكن حين تظهر في القلب خفة، وتتسلط الخفقات على الرأس يقوى الوقت(٨٠)؛ فيضطرب الحال ويرتفع الترتيب والرسوم.

وذلك الاضطراب الذي يظهر لا يكون رقصاً ولا دبيباً بالقدم، ولا تربيه للطبع(٨١)؛ بل هو صهر للروح، والشخص الذي يسمي هذا رقصاً يبعد كثيراً عن الصواب، وأبعد منه الشخص الذي لا تأتيه(٨٢) من الحق حال بلا اختياره، ويحاول أن يجذبها إليه بالحركة ويسميها حالاً من الحق؛ فتلك الحال التي ترد من الحق شيء لا يمكن بيانه بالنطق، ومن لم يذق لم يدري)(٨٣).

وفي معرض حديثه عن آداب السماع تحدث عما يجثم على الجسد والقلب، والتحرك إذا حركه السماع، والسكون إذا سكنه، وأنه يجب على المستمع أن يتقبل وارد الحق، وأن يوفيه حقه، وإذا ظهر سلطانه على القلب فلا يدفعه عن نفسه

---

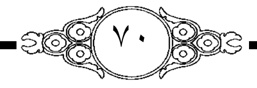
(٧٩) ينظر: السماع عند الصوفية عرض ونقد (ص٢٩١).

(٨٠) كذا، ولعل المراد: حلول قوة الوارد.

(٨١) إن سلمت من التحريف فلعل المراد: عدم ظهور هذه الحركات على طرائق الرقاصين، والعلم عند الله تعالى.

(٨٢) في الأصل: تأنيه، بالنون.

(٨٣) كشف المحجوب ٦٦٣/٢-٦٦٥.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بالتكلف، وإذا استولى السماع على جماعة ولم يكن له منه نصيب فلينظر إلى سكرهم بصحوه، ويُمكِّن لسلطان الوقت لتصل إليه بركاته(٨٤).

وهذه الآداب هي أقرب ما تكون إلى تهيئة النفس والجسد لتتخبطه الشياطين، وما هو الدين أو العلم أو الفهم الذي لا يكون إلاَّ بمثل هذا الاضطراب والتواثُب واهتزاز الأجساد وتحريكها على إيقاع الأنغام، مشابهة للمشركين وبُعداً عن سيما العقلاء أولي الألباب والحجا.

الرقص لم يأمر الله تعالى به، ولا رسوله ﷺ ولا أحد من الأئمة(٨٥).

يقول أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت٦٥٦) رحمه الله تعالى: (انتهى التواقُح(٨٦) بأقوام منهم إلى أن يقولوا: إن تلك الأمور من أبواب القُرَب وصالحات الأعمال، وأن ذلك يُثمر صفاء القلوب وسنِيَّات الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل البطالة والمَخرَقَة، نعوذ بالله من البدع والفتن، ونسأله التوبة والمشي على السنن)(٨٧).

أدلة الصوفية في السماع:

استدل الصوفية على جواز السماع بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وسأكتفي بإيراد دليل من القرآن الكريم، ودليل من السنة النبوية، وعليهما تقاس بقية الأدلة؛ فاستدل الصوفية على جواز السماع بقول الله عز وجل: {فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [سورة الزمر:١٧-١٨]، وذكر أبو القاسم القشيري (ت٤٦٥) رحمه الله تعالى: أن اللام في قوله: {الْقَوْلَ} تقتضي التعميم والاستغراق، والدليل عليه: أنه مدحهم باتباع الأحسن(٨٨).

واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تُغنيان بما تَقَاوَلَتْ به الأنصار، يوم بُعَاث، قالت:

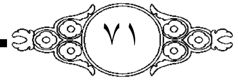
(٨٤) ينظر: كشف المحجوب ٢/٦٦٧-٦٦٨.

(٨٥) ينظر: مجموع الفتاوى ١١/٥٦٥، ٥٩٩، الاعتصام ٢/١٣٠.

(٨٦) وقُحَ الشَّخصُ: قلَّ حياؤُه، واجترأ على فعل القبائح ولم يعبأ بها. ينظر: مقاييس اللغة ٦/١٣٢، معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/٢٤٧٨.

(٨٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٥٣٤.

(٨٨) ينظر: الرسالة (ص٦٧٥).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وليستا بمُغَنِّيَتين، فقال أبو بكر: أبِمَزْمُورِ الشيطانِ في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيدٍ، فقال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا»)(٨٩).
وفي رواية (والنبي ﷺ مُتَغَشٍّ بثوبه)(٩٠).
وفي رواية: (دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش، وحوَّل وجهه)(٩١).
قال أبو عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢) رحمه الله تعالى: (ونهيُه أبا بكر عن زجرهن دليلٌ على إباحته ذلك)(٩٢)، وقال ابن زغدان الشاذلي (ت٨٨٢) رحمه الله تعالى: (فصحّ أنه مباح مطلق لا كراهة فيه، وأن من أنكره فقد أخطأ بلا شك)(٩٣).
مناقشة استدلال الصوفية بآيتي سورة الزمر:
نظر القشيري في استدلاله بالآية إلى: يستمعون، القول، وهي من مصطلحاتهم في السماع، واتكأ على عموم اللفظ.
ولكن ذكر شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري (ت٣١٠) رحمه الله تعالى (أن الآية تتناول مَن يستمعون القول مِن القائلين، فيتبعون أرشدَه وأهداه، وأدلَّه على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد، وذهب إلى هذا الرأي قتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٨) رحمه الله تعالى بأن أحسنه: طاعة الله، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي (ت١٢٨) رحمه الله تعالى قال: أحسن ما يؤمرون به فيعلمون(٩٤) به(٩٥).
وبالتالي فاستدلال القشيري بهذه الآية على جواز السماع غير مسلَّم له؛ لأمور:

---

(٨٩) متفق عليه، خرجه البخاري في مواضع منها: (٩٥٢)، وخرجه مسلم (٨٩٢) وهذا لفظه.
(٩٠) متفق عليه، خرجه البخاري في مواضع منها: (٩٨٧)، وخرجه مسلم (٨٩٢)
(٩١) متفق عليه، خرجه البخاري في مواضع منها: (٩٤٩)، وخرجه مسلم (٨٩٢) وهذا لفظه.
(٩٢) السماع (ص٦).
(٩٣) فرح الأسماع برخص السماع (ص١٠٤).
(٩٤) كذا في أكثر من طبعة، والجادة: فيعملون، والعلم عند الله تعالى.
(٩٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠/١٨٤-١٨٥.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أولاً: أن السماع الصوفي قبل زمن القشيري استقر على سماع القصائد، وإنشاد أشعار الغزل والابتهار بالمحبوب والهجر والعتاب، وما شابهه، وسماع مثل هذه الأشعار ليس الأحسن بل هو الخطأ والخطل، ومن باب أولى الأمر بمخالفتها وعدم اتِّباعها.

ثانياً: في الآية مدح من يتبع الأحسن من القول، والصوفية لا يهدفون من السماع إلى القول المسموع، بل إلى معان تنقدح وتنكشف للقلب إذا صفا بواسطة الغناء، وما ينقدح فإنه فَهْمٌ ذهني لا قول مسموع؛ لأن مقصود السماع عند الصوفية: إثارة كوامن أسرار النفوس(٩٦)، وبالتالي فالاستدلال بالآية غير مطابق لاتباع الأحسن من تلك القصائد، وغير مطابق لحال السماع الصوفي.

مناقشة الاستدلال بالحديث:

وما جاء في غناء الجاريتين عند عائشة (ت٥٧) رضي الله عنها يتطرق إليه احتمالات: أنها ـ والله أعلم ـ قريبة ابتناء النبي ﷺ بها، وفي أول الأمر، ومعها جاريتان من سِنِّها، (وكانت صغيرة في ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلاَّ ذم الغناء، وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها)(٩٧).

ثم ما أنشدتاه مما تقاولت به الأنصار يوم بعاث من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة، وكل هذا مما لا يهيج على مثلهن شراً، ولا إنشادهما لذلك من الغناء المختلف فيه، وإنما هو رفع الصوتِ بالإنشاد، يشهد له قولها في الحديث: (وليستا بمغنيتين) أي ليستا ممن يغني بما جرت به عادة المغنيات من التشويق والهوى والتشبيب بأهل الجمال مما يحرك النفوس، ويبعث الهوى والغزل، ويحتمل أن يكون ليستا بمغنيتين الغناء المصنوع العجمي الخارج عن إنشادات العرب (٩٨).

(وأين الغناء بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، من غناءِ أمردَ مستحسنٍ بآلات مستطابة، وصناعة تُجذب إليها النفسُ، وغزليات يُذكر فيه الغزال والغزالة [والخال والخد والقد والاعتدال] فهل يَثبتُ هناك طبع؟ هيهات بل ينزعج شوقا إلى المُستلَذ)(٩٩)

ومعنى تُغنيان: ترفعان أصواتهما بالإنشاد، والعرب تُثبت مآثِرَها بالشعر فَتُروِّيها أولادها ومواليها فيكثر إنشادُهُم لها، والعرب تقول: سمعتُ فلانًا يُغَنّي بهذا

---

(٩٦) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص٢١٦).

(٩٧) تلبيس إبليس (ص٥٥٩)، واقتبسه ابن الحاج في المدخل ١٠٧/٣.

(٩٨) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٠٦/٣، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٣٤٠/٢، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ شرح النووي على مسلم ـ ١٨٢/٦.

(٩٩) تلبيس إبليس (ص٥٥٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الحديث أي يَجْهَرُ به ويَصرُخ ولا يُورِّي ولا يُكني، ومن رفع صوته بشيءٍ ووالى به مرة بعد مرة فصوته عند العرب غناءٌ، وأكثره فيما شاق من صوت أو شجا من نغمة ولحن، ولهذا قالوا: غنت الحمام، وتغني الطائر(١٠٠).

فالصديق رضي الله عنه أنكر ما ظنه من أنهما فعلتا ذلك بغير علمه ﷺ؛ لكونه دخل فوجد النبي ﷺ مغطى بثوبه فظنه نائماً؛ فبادر إلى إنكار ذلك على ابنته قياماً عن النبي ﷺ بذلك؛ لِما تقرر عنده من منع الغناء واللهو؛ فأوضح له النبي ﷺ الحال وعرفه الحكم والحكمة، وأنه يوم عيد وسرور شرعي فلا ينكر فيه مثل هذا(١٠١).

وليُتأمل في هذا الاجتماع الغنائي المغنيتان اثنتان، والحضورُ مستمعةٌ واحدة، وكلهن جوارٍ حديثات سن، ومع أنهن جوار نواعم إلاَّ أن تلك المقطوعات الغنائية كانت في ذكر الحروب والشجاعة والفروسية، وفرح مباح في أيام العيد، ولم يأت في الروايات تمايل ولا صفير ولا زعيق، لأنهم رضي الله عنهم يحتشمون عن ذكر وفعل ما يخدش المروءة، ولو قورن بسماع الصوفية لكان الفرق شاسعاً والبون بعيداً، قوالون، وجماهير تحضر، وأشعار غزلية، ورقص وصفير، مع بدعة التعبد بالسماع ليقوي القلب على مشاهدة ما كان قلبُه يقصر عنه قبل قُوَّته، والقلب إذا صفا تمثل له الحق كما تقدم.

ولعل هذين الدليلين كافيان في إيضاح منزع استدلالاتهم للسماع، ويقاس عليه بقية ما استدلوا به(١٠٢).

وأشار العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى إلى ملحظ إيماني مهم، وفيه عبرة {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد} [سورة ق:٣٧]، (وكيف يجوز أن تؤخذ الإشاراتُ إلى الله سبحانه من التَّغزُّل في النساء والمردان؟ وأين هذا مما يجب له سبحانه من الهيبة والتعظيم والوقار والإجلال لعظمته وخشيته والخوف منه؟)(١٠٣).

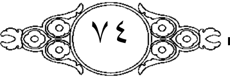
---

(١٠٠) ينظر: غريب الحديث ٦٥٥/١-٦٥٧، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٥٨/٨.

(١٠١) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٣٤/٢-٥٣٥، وعنه فتح الباري ٤٤٢/٢.

(١٠٢) ينظر في بيان أدلتهم والجواب عنها: الاستقامة ٥٤٥٤/٢، الكلام على مسألة السماع (ص١٢٤) وما بعدها، نزهة الأسماع في مسألة السماع (ص٨٦)، السماع عند الصوفية عرض ونقد (ص١٥٠-١٧٣).

(١٠٣) الكلام على مسألة السماع (ص٧٣)، وينظر: تلبيس إبليس (ص٥٥٨).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

نقد السماع عند الصوفية:

يرى أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧) رحمه الله تعالى أن الصوفية لما نفروا من العلم وانفردوا بالرياضات على مقتضى آرائهم، لبَّس إبليس عليهم لما تكلموا في العلم؛ فتارة يتكلمون في تفسير القرآن، وتارة في الحديث، وتارة في الفقه وغير ذلك، ويسوقون العلوم إلى مقتضى واقعاتهم وتجاربهم وأذواقهم التي انفردوا بها؛ فوقعت الأغاليط القبيحة، والله سبحانه لا يخلي الزمان من أقوام قُوَّام بشرعه، يردون على المتخرصين، ويبينون غلط الغالطين(١٠٤).

ومهما استدل الصوفية للسماع بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إلاَّ أنه يتبين عند التحقيق للمنصف أن استدلالهم لا يسلم من ضعف في الدليل أو المدلول، أو عدم انطباق تنزيل النصوص على سماع الصوفية، ويصح أن توصف طريقتهم أنها مثال للمنهج التلفيقي في الاستدلال للسماع، وينبغي أن يُفرق في بيان الحكم على السماع في هذا المقام من جهتين: من جهة كونه لهواً وطرباً وما يكون فيه من خلاف فقهي، ومن جهة كون هذا السماع وما يصحبه من الآلات عبادة وقربة لله تعالى.

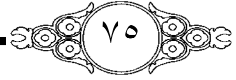
والصوفية يتعبدون لله تعالى بالسماع مع ما يصحبه من آلات اللهو، فليس الخلاف معهم خلافاً فقهياً، لكلٍ أدلته وما يترجح له، بل القوم يتدينون بسماع هذا الغناء ويلفقون الدلائل من هنا وهناك، وهذه سمة في أهل الانحراف أنهم يبحثون في الأدلة عما يشهد لفعلهم، لا أنهم يصدرون عن الدليل ممتثلين متبعين مطبقين، والله المستعان.

وكان السلف يجعلون أهل الأهواء كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين، ويدخلون أهل البدع فيهم، ويذمُّونهم بذلك، ويحذِّرون منهم، ولو ظهر عنهم ما ظهر من العلم والعبادة والزهد والفقر والأحوال والخوارق، قال الله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِين} [سورة الجاثية:١٨-١٩](١٠٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (لا يجوز لأحد أن يعارض كتاب الله بغير كتاب؛ فمن عارض كتاب الله وجادل فيه بما يسميه: معقولات وبراهين

(١٠٤) ينظر: تلبيس إبليس (ص٧٦٣).

(١٠٥) ينظر: الكلام على مسألة السماع (ص١٦٣-١٦٤).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وأقيسة، أو ما يسميه: مكاشفات ومواجيد وأذواق، من غير أن يأتي على ما يقوله بكتاب مُنزَّل؛ فقد جادل في آيات الله بغير سلطان)(١٠٦).

ومعارضة أدلة الشريعة والجدال فيها بلا برهان دركات متفاوتة، قال تعالى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [سورة غافر:٣٥]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [سورة غافر:٥٦].

وقد أفاض أهل العلم رحمهم الله تعالى برد أدلة الصوفية وتدينهم بالسماع، وبيان وجه الاستدلال الصحيح منها، ويقال في نقد أدلة الصوفية إجمالاً أن الخلاف المعتبر في الشريعة هو المبني على الدليل الصحيح في قوته وفي انطباق دلالته، والله سبحانه وتعالى أمر الخلق عند التنازع بالرجوع إلى المصدرين المعصومين: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [سورة النساء:٥٩]؛ فيرشد الله تعالى عباده المؤمنين إن حصل اختلاف الآراء في شيء من أمر الدين، وسماه تنازعاً كأن المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان؛ فالواجب رد الخلاف إلى كتاب الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ ما دام حياً، وبعد وفاته يكون الرد إلى سنته؛ لأن الرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما؛ فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد، وهذا الرد أحسن مآلا وعاقبة(١٠٧).

الرد على الصوفية في السماع:

من بدع الصوفية جعلهم السماع والرقص والطرب عبادة وقربة وتدين، وسيكون الرد عليهم مختصراً من الكتاب والسنة والإجماع وكلام أهل العلم رحمهم الله تعالى.

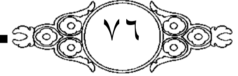
الكتاب:

قال الله تعالى آمراً نبيه ﷺ بقوله: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [سورة الأنعام:٧٠]، وقوله سبحانه ذاماً المشركين في عبادتهم: {وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً} [سورة الأنفال:٣٥]، ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [سورة لقمان:١٩]، والقصد في المشي هو السكينة، وغض الصوت خفضه، وقوله سبحانه: {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ} [سورة الأنبياء:٢-٣]، والصوفية لهم نصيب من مخالفة هذه الآيات بلهو ولعب وغناء جعلوه عبادة، ومشابهتهم للمشركين.

---

(١٠٦) الاستقامة ٢٢/١.

(١٠٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ٢٤٢/٢.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

السنة:

وهذا التعبد بالسماع الصوفي وما فيه من رقص وغناء يندرج في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١٠٨)، وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١٠٩)؛ لأن أمر العبادات توقيفي ولابد فيه من ورود الدليل، ولا يعبد الله تعالى إلاَّ بما شرعه لعباده.

كلام العلماء في السماع:

وللعلامة أبي العباس القرطبي (ت٦٥٦) رحمه الله تعالى كلام متين، ونقدات لاذعات لسماع الصوفية، وأن الصوفية في زمنه أفرطوا في إباحته، وتعدَّوا فيه الوجه الجائز، بل واستباحوا المحرمات من أصناف الملاهي كالشبابات، والطارات، والرقص.. وهي أفعال المُجَّان أهل البطالة والفسوق، المُدخِلين في الشريعة ما ليس منها(١١٠).

وقال : (إن ما ابتدعه الصوفية من الإدمان على سماع المغاني بالآلات المطربة؛ فمما لا يُختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية والأغراض الشيطانية قد غلبت عليهم حتى عَمُوا عن تحريمه وفُحشه؛ وظهرت من كثير منهم عَوارات المُجَّان والمخانيث، والصبيان، فيرقصون ويزفنون بحركات مطابقة، وتقطيعات متلاحقة؛ كفعل أهل السَّفَه والمجون)(١١١).

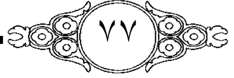
وإذا أرخيت للنفوس شهواتها فلا يحدها حد، ولا يردعها رادع، واعتبر بسلوك أهل السماع الصوفي من (جُهَّال العوام، والمبتدعة الطَّغام من الزعيق والزفير، ومن النهيق الذي يشبه نهاق الحمير؛ فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك وجد وخشوع: إنك لم تبلغ ذلك، أي تساوي حال رسول الله ﷺ ولا حال أصحابه في المعرفة بالله تعالى، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله تعالى، والبكاء خوفًا من الله، والوقار حياءً من الله، وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة فقال: {إِنَّمَا المُؤمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَت عَلَيهِم آيَاتُهُ زَادَتهُم إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ} فصدَّر الله تعالى الكلام في هذه الآية بـإنما الحاصرة لما بعدها، المحققة له، فكأنه قال: المؤمنون على التحقيق هم الذين تكون أحوالهم هكذا عند سماع ذكر الله، وتلاوة كتابه، ومن لم يكن

(١٠٨) متفق عليه، خرجه البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨) واللفظ له.

(١٠٩) عند مسلم (١٧١٨).

(١١٠) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٢٤/٢.

(١١١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٣٤/٢.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقتهم، وكذلك قال الله تعالى في الآية الأخرى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، فمن كان مُستنًّا فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والمجون، فهو من أخسَّهم حالًا، والجنون فنون)(١١٢).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨) رحمه الله تعالى أنه لم يستطع أحد ممن يستحب السماع المحدث ويستحسنه أن يحتج بأثر معتبر في دلالته عمن مضى ولا بأصل في الكتاب والسنة(١١٣).

وانتقد ابن الحاج الفاسي (ت٧٣٧) رحمه الله تعالى السماع الصوفي وتعقبهم في استدلالاتهم وأحوالهم، وكان مما ذكر في معرض الانتقاد: أن استدل عظيم من شيوخهم على إباحة الغناء بأن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي مشقة الأحمال إذا سمع الحداء(١١٤)، ثم قال: (انظروا يا أولي الألباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة، وحسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام والصبيان في المهد، وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل، وحسبك من عقول لا تقتدي بأحبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل؛ فلئن كان كل ما طربت به البهائم مندوباً أو مباحاً؛ فإنا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا)(١١٥).

الإجماع:

حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على حرمة السماع المصحوب بالآلات المطربات، فقال أبو عمرو ابن الصلاح (ت٦٤٣) رحمه الله تعالى في جواب مطول عن سماع الصوفية: (فقولهم في السماع المذكور إنه من القربات والطاعات قول مخالف لإجماع المسلمين؛ فإجماعهم على خلاف قولهم هذا منقول محفوظ معلوم)(١١٦).

---

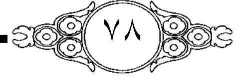
(١١٢) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٦٠/٦.

(١١٣) ينظر: الاستقامة ٢٨١/١.

(١١٤) يقصد كلام صاحب كتاب إحياء علوم الدين ٢٧٥/٢.

(١١٥) المدخل ١٠٩/٣-١١٠.

(١١٦) فتاوى ابن الصلاح ٥٠٠/٢، ونقل الاتفاق أيضاً أبو العباس القرطبي في كشف القناع عن حكم الوجد والسماع (ص٧٢).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فقد أجمعت الأمة على بدعية عبادة الرقص الصوفية وأنها محرمة وأن من ادعى ذلك فهو ضال، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من الأئمة..)(١١٧).

نقد الكشف الناتج من السماع الصوفي:

وقوع الكشف والتحقق به من الغايات التي ينشدها الصوفية، والسماع من أهم الوسائل الموصلة إليه، وهو قسمان(١١٨):

الأول: الكشف العلمي مثل: كشف علوم الغيب المتعلق بتوحيد الربوبية وكشف الحقائق الشرعية المتعلقة بكلمات الله.

الثاني: الكشف العملي وهو: ما يحصله صاحب الكشف من تصرفات في العوالم عن طريق الكرامات في نفسه أو غيره.

والدين يؤخذ من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، وليس للكشف طريق من هذه الطرائق، ولكن الصوفية يدخلون الكشف في العلوم الشرعية ويجعلونه طريقا أصلياً لمعرفة الشريعة، بل مصدراً من مصادرها

وهم في الحقيقة يطلبون بهذه الكشوف الحياة الدنيا من المكانة في نفوس الناس والرئاسة عليهم وأكلهم أموال الناس بالباطل وإعانة المشركين والظلمة حتى يبقى لهم سلطانهم على العامة وتبقى ولايتهم عليهم.

قال في مراقي السعود لمبتغي الرُّقيِّ والصعود(١١٩):

ويُنبذُ الإلهامُ بالعراءِ أعني به إلهامَ الأولياءِ
وقد رآهُ بعضُ من تصوَّفا وعِصمةُ النبيّ تُوجبُ اقْتِفا
لا يَحكُم الوليُّ بلا دليلِ من النصوصِ أو من التأويلِ
في غيرِه الظنُّ وفيهِ القَطعُ لأجلِ كشفٍ ما عليه نقع

علاقة الرُّوحانيات بالسماع:

اتضح مما سبق أن السماع عند الصوفية تدرج عبر عدة مراحل، واستقر ليكون تعبداً بالغناء والرقص، وميداناً ليُظهِر الصوفية في أجوائه الصاخبة الكرامات والكشوفات وخوارق العادات بقرع الطبول ونقرها، والوجد بإسماع الأصوات المنكرة من الضجيج والزفير والأنين والزعيق، وإظهار الحركات المستهجنة من الخِفَّة والحمق التمايل والتكسر، واشترطوا لكمال هذا الوجد الذي أثمر الحركة ما

(١١٧) مجموع الفتاوى ٥٩٩/١١.

(١١٨) ينظر: السماع عند الصوفية عرض ونقد (ص٣١٧-٣١٨)، وفي: أبعاد صوفية للإسلام (ص٢٦٣-٢٦٤) ذكرت أربعة أنواع للكشف، وهي داخلة في هذه.

(١١٩) ينظر: نثر الورود شرح مراقي السعود (ص٢٢٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

جعل كل عضو يأخذ نصيبه؛ فالعين تبكي، واللسان يصيح ويصفر، واليد تصفق وتمزق، والرِّجل تركض، والجسم يرقص، كقطيع الشاء عاثت فيه الذئاب، ولا يشك عاقل أن تلك الأفعال ليست سيما صلحاء السلف من الصحابة والتابعين ومن لزم نهجهم، ولا يديم ارتياد هذه الأماكن أهل الخشوع والإنابة ممن أراد اللهَ تعالى والدار الآخرة.

وهذه الأجواء ليست أجواء طاعة لله عز وجل، وطاعة رسوله ﷺ، ولا اجتماع قرآن وذكر وإيمان، بل مجتمع لهو وغفلة ورقص وغناء، ومعاص وآثام، ومجتمع بدعة وضلالة باتخاذهم السماع عبادة وقربة لله تعالى، مع ما فيه وما يصاحبه مما تقدم وصفه، تنتج بيئة خصبة وجاذبة للجن والشيطان؛ لعدة أمور مهمة:

١. استقر أمر السماع الصوفي على اللهو والغناء.
٢. ما يوجد فيه من أشعار الغزل والتشبيب بالنساء والمردان، ووصف الخمر.
٣. ما يصاحبه من الرقص والأصوات المنكرة.
٤. ما يتضمن مشابهة المشركين واتخاذ آيات الله هزوا حينما يُتديَّن بالسماع، ويزداد سُوءاً إذا أقيم في المساجد بيوت الله تعالى.
٥. أن الغاية من السماع وثمرته حصول الوَجْد في القلب، ويثمر حركة الأطراف واضطرابها والتصفيق والرقص.

وإذا كانت السكينة تنزل على مجالس الذكر والخير والسنة؛ فإن مجالس السماع بمنأى عن أن تحفها الملائكة أو تغشاها الرحمة، بل تحفها الجن، وتتخبط روادها الشياطين، ولذا يكثر في مجالس السماع من يضطرب ويصطلم، ومن يمزق ثيابه، ومن يتعرى، ويوهمون الناس أنهم كوشفوا وقد تخبطتهم الشياطين، وما هكذا تكون آثار الطاعات والقربات على الطائعين، بل هي ثمار البدع والمعاصي والمحدثات، وآثار تنزل الشياطين وتلبسهم بهؤلاء المخالفين، كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا} [سورة الأنعام:١٢٨]، ويكون استمتاع الإنس بالجن بما يلقونه إليهم من الأراجيف والخوارق، وتزيينهم الأمور التي يهواها الإنس، وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتاع الجن بالإنس بما ينال الجنَّ من تعظيم الإنس لهم واستعانتهم بهم، وطاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم ويأمرونهم من الضلالة والمعاصي، وطاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم لبعض(١٢٠).

ويدخل في هذا الاستمتاع الاستخدام والائتمار كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم، ويدخل في ذلك الاستمتاع بالأموال كاللباس، واستمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس، يشبه استمتاع الإنس بالإنس، وهي المودَّات التي كانت لغير

(١٢٠) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ١٨٨/٣، تفسير القرآن العظيم ٣٣٨/٣.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الله، كما قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُون} [سورة الجاثية:٢٣]؛ وإذا كان المشرك يعبد ما يهواه؛ فاتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه، وقد وقع في الإنس والجن هذا كله(١٢١).

ومعنى قوله: {اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ} أي: من إضلالهم وإغوائهم(١٢٢).

وفي أجواء السماع الصاخبة وقرآن الشيطان ومزموره يعلو ورايته منصوبة، تغشاهم الغفلة، وتتنزل عليهم الشاطين تؤزهم وتؤازرهم إلى هذا الخبال.

سئل رويم البغدادي (ت٣٠٣) رحمه الله تعالى عن المشايخ الذين لقيهم: كيف كان يجدهم في وقت السماع؟ فقال: مثل قَطيع الغنم إذا وقع في وسطه الذئاب(١٢٣).

؛ فتظهر الخوارق من بعضهم، قيل لأبي بكر الدُّقي: إن جهماً الدُّقي أخذ شجرة بيده، في حال السماع في ثوارنه فقلعها من أصلها؛ فاجتمعا في دعوة(١٢٤)، وكان الدُّقي كُفَّ بصره؛ فقام جهم الدُّقي يدور في هيجانه(١٢٥)؛ فقال الدُّقي: إذ قرُبَ منِّي أرونيه، وكان الدُّقي ضعيفاً بمرة؛ فلما قرُب منه قالوا له: هذا هوَ؛ فأخذ الدُّقي ساق جهم فوقَفَه؛ فلم يمكنه أن يتحرك؛ فقال جهم: أيها الشيخ التوبةَ التوبةَ فخلاَّه.

وعلق أبو القاسم القشيري بعد أن ساق القصة بقوله: فكان ثوران جهم في حق، وإمساك الدُّقي بساقه بحق، ولما علمَ جهمٌ أن حال الدُّقي فوق حاله رجع إلى الانصاف واستسلم، وكذا من كان بحق لا يستعصي عليه شيء(١٢٦).

ولابد من وقفات حيال هذا الخبر؛ فإن الله سبحانه وتعالى خلق الناس وجعل لهم قدرة وقوة تصاحبهم ولا تنفك عنهم إلاَّ لعارض، ويفهم من السياق أن جهماً الدُّقي لما هاج وثار بسبب السماع ظهرت له قوة مكنته من قلع شجرة من أصلها، أي: مع جذورها، ولا يخفى صعوبة ذلك القلع وشدته، والنصُّ على قلعها من أصلها يفيد أنها ليست فسيلة صغيرة، بل القوة التي طرأت عليه مكنته من قلعها، ولمَّا كان السماع سبب هذه القوة وَصَف القشيري هذا الثوران بأنه حق؛ ومع ذلك فإن أبا بكر الدُّقي مع ضعف بدنه أو ضعف بصره ـ واللفظ محتمل ـ قبض على ساق جهمٍ الثائر قالع الشجرة؛ فأوقفه ولم يمكنه من الحركة، وبالتالي ظهر أن أبا بكر أقوى من جهم.

---

(١٢١) ينظر: مجموع الفتاوى ٨١/١٣.

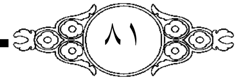
(١٢٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣٣٨/٣.

(١٢٣) اللمع (ص٣٦١)، الرسالة (ص٦٩٣).

(١٢٤) مناسبة: يجتمعون على طعام، وإذا شبع هؤلاء الزهاد قاموا إلى السماع.

(١٢٥) الزفير والزعيق والنخير والثوران والهيجان.. كلها داخلة في ثمرة السماع: الوَجدُ.

(١٢٦) الرسالة (ص٢٤٨).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ويتبادر سؤال: لماذا تاب جهم، مع أن حاله حق؟
والجواب: أن حالهما ليست حال حق وصدق، بل هي حال باطل شيطاني أعانتهم الجن بهذه القوة؛ فحصلت المنافسة لمحاولة بسط النفوذ والسيطرة والتقوي بالجن، ولما رأى جهم الدُّقي تمكن أبا بكر الدُّقي أظهر التوبة، التوبة عن ماذا؟ عن ألاَّ يحاول التعالي مرة أخرى وأبو بكر الدُّقي في البلد، وقبِل بالهزيمة، والتسليم لأبي بكر ببسط نفوذه، وأخبارهم في هذا التنافس المحموم المشؤوم كثيرة.

وكان علي أبو خودة (ت٩٢٠ تقريباً) إذا حضر السماعَ يحمل القوَّال ويجري به كالحصان، ويرمح به كأنه عصفور(١٢٧).

وأُثر عن علي بن حجازي بن محمد البيومي الشافعي الخلوتي ثم الأحمدي (ت١١٨٣) أنه إذا ورد المشهد الحسيني يغلب عليه الوَجد في الذكر، حتى يصير كالوحش النافر في غاية القوة؛ فإذا جلس بعد الذكر تراه في غاية الضعف(١٢٨)، وهذه تماماً كحال من تتلبسهم وتتخبط بهم الجن في مجالس اللهو الشعبي، والمسمى بالزار، قوة ونشاط وحركات يعجز الشخص أن يفعلها إذا ثاب إليه عقله بعد هذا المس، ثم يبقى منهكاً ومتعباً عدة أيام بعدها، هذا إذا كان الرجل شاباً معافاً، وأما إن كان ضعيفاً هزيلاً ثم ظهرت عليه القوة في السماع فالأمر واضح لا يحتاج إلى بيان.

مهما اختلفت كلمات الصوفية وألفاظهم إلاَّ أنهم يتفقون على أن قاعدة التصوف وأساسه يقوم على الولاية وإثباتها، وبالتالي تختلف عباراتهم في بيان العبارة عن الولاية (١٢٩)، وجعلوا الخارق للعادة والطبيعة أظهر دليل بأن من وقع له أنه من أولياء الله تعالى.

فهم مهووسون بطلب خوارق العادات الكشفية أو التأثيرية، بل يرونها علامة صحة السلوك، والخوارق إن حصل بها فائدة مطلوبة في الدين كانت من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب وإما مستحب، وإن حصل بها أمر مباح كانت من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كانت على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نَهي تحريم أو نهي تنزيه كانت سبباً للعذاب أو البغض، وتكون من قبيل الاستدراج وتلبيس الشيطان ومكره(١٣٠).

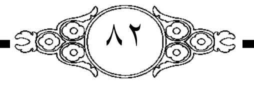
---

(١٢٧) الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ٣٨١/٢، الطبقات الوسطى = لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية ٣٠٣/٤.

(١٢٨) **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ٣٨١/١.

(١٢٩) ينظر: كشف المحجوب ٤٤٢/٢، ٤٥١، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (ص١٦٩).

(١٣٠) ينظر: مجموع الفتاوى ٣١٩/١١.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والعاقل يوازن هذا العبث الصوفي بحال رسول الله ﷺ قدوة الناس أجمعين، والذي زكاه الله تعالى ورفع ذكره فقال عنه: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [سورة الشورى:٥٢]، وتأمل حاله مع الشياطين والعفاريت كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ - ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي} [سورة ص:٣٥] فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا»(١٣١).

ولأبي إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ـ قاضي السَّلاميّة(١٣٢) ـ (ت٦١٠) رحمه الله تعالى أبيات قالها في شيخ زاوية صوفية يدعى: مكي، وزاويته بالبوازيج ـ بليدة بالقرب من السلامية ـ:

ألا قُل لِمكّيٍّ قول النَّصوحِ — فحقُّ النّصيحة أن تُستمعْ
متى سمع الناسُ في دينهم — بأنّ الغِنا سُنّةٌ تُتَّبع؟

وأن يأكل المرءُ أكلَ البعيرِ — ويَرقصَ في الَجمعِ حتّى يقع؟
ولو كان طاوِي الحَشَا جائعاً — لما دارَ من طَرَبٍ واسْتَمَعْ

وقالوا: سكرنا بحبِّ الإله — وما أسكر القومَ إلاّ القِصَعْ(١٣٣)

كذاك الحميرُ إذا أخصبت — يُنَقِّزها رِيُّها والشِّبع
تراهم يهزوا لحاهم إذا — ترنّم حاديهمُ بالبِدع

فيصرُخ هذا، وهذا يئِنُّ — و{يَس}لو تُلِيَت ما انصدع(١٣٤)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٣١) متفق عليه، خرجه البخاري في مواضع، منها: (١٢١٠)، وخرجه مسلم (٥٤١) وهذا لفظه، ونقل البخاري تفسير النضر بن شميل: فذعته: بالذال أي خنقته.

(١٣٢) من أكبر قرى مدينة الموصل وأحسنها وأنزهِها. ينظر: معجم البلدان ٢٣٤/٣.

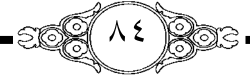
(١٣٣) القِصعُ جمع قصعة، وهي الصَّحْفَة. ينظر: القاموس المحيط (ص٧٥١).

(١٣٤) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣٨/١، البداية والنهاية ٣٨/١٧، وأورد الأبيات العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان ٤١٢/١، ولكنه غير في ألفاظها وزاد، وعنه صوبت تحريف شطر البيت الأخير: ويبس لو تلّين ما انصدع.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

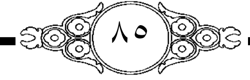
المراجع:

أبعاد صوفية للإسلام، المؤلفة: آن ماري شيمل، ترجمة د. عيسى العاكوب، الناشر: دار نينوى، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، لبنان.
الاستقامة، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
اصطلاح الصوفية، ضمن رسائل ابن العربي، المؤلف: محمد بن علي بن عربي الطائي، المحقق: عبد العزيز المنصوب دار نينوى، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.
إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ
اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ
إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، المؤلف: العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ).
الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط، ضمن خمس رسائل في السلوك، المؤلف: محمد بن علي بن عربي الطائي، مؤسسة ابن العربي للبحوث، مصر، ٢٠٢١م.
البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيررشي (المتوفى:٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ)، الناشر: دار الجيل بيروت.
التصوف الثورة الروحية في الإسلام، المؤلف: د. أبو العلا عفيفي، الناشر: دار التنوع الثقافي، سوريا، الطبعة: الأولى، ٢٠١٩م
التعرف لمذهب أهل التصوف، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي (المتوفى: ٣٨٠هـ)، المحقق: محمد أديب الجادر، الناشر: دار نينوى، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.



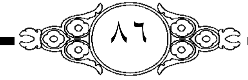
ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (المتوفى:هـ٣١٠)، المحقق: مكتب التحقيق بدار
هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م
تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ه)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م
تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ه)، المحقق: أ. د. أحمد المزيد، وزميله، الناشر: مدار الوطن للنشر، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ه – ٢٠١٦م.
تهذيب الأسرار، المؤلف: عبد الملك بن محمد الخركوشي، (المتوفى ٤٠٧هـ) المحقق: بسام بارود، الناشر: المجمع الثقافي، دبي، ١٩٩٩م.
تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠ه)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ه)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: أنس الشرفاوي، الناشر: دار المنهاج، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ -٢٠١٧م
السماع عند الصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الرحيم القرشي، الأصل: رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ.
سنن الدارمي، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥ه)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

طبقات الأولياء، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، بتحقيق: نور الدين شريبه، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ه - ١٩٩٤م.
طبقات الصوفية، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي المتوفى: ٤١٢هـ)، بتحقيق: نور الدين شريبه، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٤م.
عوارف المعارف، المؤلف: شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي لمخزومي ود. إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.
فتاوى ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣ه)، المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية. الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية، المؤلف: محيي الدين بن عربي الأندلسي، نسخة المكتبة الشاملة الذهبية.
فرح الأسماع برخص السماع، المؤلف: محمد بن أحمد اليزلتيني، التونسي القاهري، المالكي، ويعرف بابن زغدان، (المتوفى: ٨٨٢ه)، تحقيق وتقديم: د. محمد الشريف الرحموني، الناشر: الدار العربية للكتاب، عام النشر: ١٩٨٥ م
في التصوف الإسلامي وتاريخه، المؤلف: رينولد نيكلسون، ترجمة: د. أبو العلا عفيفي، الناشر: دار التنوع الثقافي، سوريا، الطبعة: الأولى، ٢٠٢٠م
القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧ه)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م.
قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، دار النشر: دار الكتب العلمية، لبنان - ١٤٢٦ه -٢٠٠٥م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي.
كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد على التهانوي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.
كشف المحجوب، المؤلف: علي بن عثمان الهجويري، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الكلام على مسألة السماع، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.
الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (المتوفى: ١٠٩٤ه)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
اللُّمع، المؤلف أبي نصر السرَّاج الطوسي، تحقيق: عبدالحليم محمود – طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، عام النشر: ١٣٨٠ه - ١٩٦٠م.
مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ه)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ه - ١٩٩٥م.
المستدرك على الصحيحين، المؤلف: الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ ه)، بإشراف: د. يوسف المرعشلي، الناشر: دار المعرفة، لبنان.
مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤ه)، الناشر: دار الكمال المتحدة، سوريا، الطبعة: الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محم الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى:٥١٠ه)، المحقق: محمد عبد الله النمر وزميليه، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ه - ١٩٩٧م.
معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦ه)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م
معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى:١٤٢٤ه) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ه - ٢٠٠٨م.
معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة: ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: محيي الدين ديب مستو، ورفاقه، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ميزان العمل، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى، نزهة الأسماع في مسألة السماع، المؤلف: عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، المحقق: وليد عبد الرحمن الفريان، الناشر: دار طيبة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٦،

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان الإربلي (المتوفى:٦٨١ه)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413